

الجمال الفني والجمال الطبيعي

ان مهمة الفن ان يقول لا أن يعيد القول ، وأن يخلق لا أن ينقل ، وهو لا يقلد الطبيعة ، ومن المهم أن نقول: إن لا قطيعة بين الفن والواقع ، مثلما لا يوجد احتكار بالنسبة للجمال في الفن ، إذ يوجد جمال طبيعي مع علمنا أن الاشكال التي تنتجها الطبيعة ليست جميلة دائما" وأن كانت ذات طابع تشكيلي ، بمعنى أن ثمة علاقة بين الجمال أفني (المصنوع) والجمال الطبيعي (أحر) ، لكن عندما تكون كائنات الطبيعة جميلة لا يكون هدفها ان تكون جميلة ، بل لكي تحافظ على نفسها ونوعها .

ان الفرق بين الجمال الفني والجمال الطبيعي هو في النوع ، كما هو الشأن بين الشيء الذي تقدمه الطبيعة والعمل الفني ، ومع ذلك فالجمال الطبيعي جمال اصيل فالأشياء الجميلة الطبيعية بعيدة عن أي مقارنة ، فنية . والان هل يجوز ان تنعت بالجمال اشياء الطبيعة كالسماء والصوت والاشجار واللون؟! وهل تستأهل هذه الاشياء هذا الوصف؟! هل يوضع الجمال الطبيعي في مرتبة واحدة مع الجمال الفني؟!

إن الجمال الذي يخلقه الفن لهو بحسب الراي الشائع دون مستوى الجمال الطبيعي بكثرة ، وان اعظم فضل للفن في هذه الحال هو الاقتراب في ابداعاته من الجمال الطبيعي ، اذا ما علمنا ان (الاستطيق) هي علم الجمال الفني فحسب .

ان الجمال الفني كما يرى (هيجل) هو بخلاف ما تزعمه النظرة الدارجة ، اسمى من الجمال الطبيعي لأنه من نتاج الروح ، فما دام الروح اسمى من الطبيعة ، فأن سموه ينتقل الى نتاجاته ، ومن ثم الى الفن ، لذلك ، ان الجمال الفني اسمى من الجمال الطبيعي ، لا نه نتاج للروح ، فاذا نظرنا الى مضمون الجمال الطبيعي مثل الشمس فهو يشكل انا مطلقا "أساسيا" في الوجود ، وعند النظر الى الشمس من منضور ضرورتها والدور الكبير الذي تلعبه في مجمل الطبيعة ، يغيب عنا جمالها ، في حين ان الجمال الفني يصدر عن الروح فيسمو على الطبيعة . أي انه يصدر عن الحقيقة ، أي بمعنى ان ما هو موجود لا يدين بوجوده الا لما هو اسمى منه .

ان الروحي هو وحده الحقيقي كما يرى (هيجل) الفيلسوف المثالي في حين ترى الفلسفة المادية عكس ذلك تماما".

ان موضوع الجمال الفني والجمال الطبيعي يعكس لنا مسألة العلاقات بين الفن والطبيعة ، وعلى حد قول (هيجل) انه ليس جميلا" الا ما يجد تعبيره في الفن ، بوصفه خلقا" روحيا" ولا يستأهل الجمال الطبيعي هذا الوصف الا في نطاق علاقاته بالروح .

ان الجمال يتدخل في جميع ظروف حياتنا فهو ((الجني الانسب الذي نصادفه في كل مكان)) وانه يرتبط منذ القدم بالدين والفلسفة وان الانسان لجأ الى الفن كوسيلة لوعي اسمي افكار روحه واهتماماته ، وقد صبت اسمي تصوراتها في نتاجات الفن وعبرت عنها بواسطة الفن.

ان الخلط بين الجمال الطبيعي والجمال الفني يعد من الاوهام الاكثر شيوعا" وضررا" ، فأتنا حينما نقدر قيمة لوحة فنية فبناء" على ثروتها في الالوان او توازن كتلتها .

الحقيقة ان الطبيعة ليست لها قيمة جمالية الا عندما ينضر اليها من خلال فن من الفنون ، لكن يمكن ان يوجد الجمال في طبيعة وحشة وثمة جمال كاذب ويوجد جمال حقيقي في الفن .

ان الجمال الطبيعي للأشخاص لا علاقة له بالجمال الفني للوحة ، فصورة امرأة جميلة ليست بالضرورة صورة جميلة وان صورة امرأة قبيحة او عادية بطبيعتها يمكن ان تكون تحفة رائعة أخيرا" عندما يلتقي الجمالان.. جمال الطبيعة وجمال الفن فان هذا الالتقاء لا يكون الا تصادفا" عرضيا" او حادثا" تاريخيا" عابرا" لا يدخل في صميم طبيعة الفن والجمال في شيء .

((ان الجمال الطبيعي كما يقول كانت) شيء جميل اما الجمال الفني فهو تمثيل لشيء ما)) ليس مفروضا" فيه ان يكون جميلا" على الطريقة الكلاسيكية او الاكاديمية يمكن الجمع بين الجمال الفني والجمال الطبيعي وكما يقول (تين) ان ((ان القبيح جميل لاشك في هذا لكن الجميل اكثر جمالا")) ويقال ايضا" : ((ليس في الفن شيء مالم يكن من قبل في الطبيعة)) .

ان الاستطيقالا تتخذ من الجمال موضوعا" لها الا بقدر ما يكون هذا الجمال مقيما" خلال فن من الفنون على اساس المحكات ذاتها ، كما لو كان الجمال وسيلة فنية ملازمة لطبيعة الاشياء ، ان الموضوع الحق للاستطيقا هو القيم الايجابية او السلبية ، أي الوسائل الجميلة او القبيحة .

** الحاجة الجمالية ودوافعها **

الجمال نوعية استاطيقية (حسية) وهو درجة من درجات علوم الجمال التي تعرض الى الجدل منذ العصر الاغريقي .

ان الحاجة الى الجمال هي ذلك الحافز او الوازع الداخلي او القوة الباطنية التي تدفعنا ، او تلح علينا جذبا " شديدا " ، للانتقال الى متحف الفن الجميل ، او في اقتناء اسطوانة او شريط موسيقي او غنائي ، او البحث عن كتاب او مصدر من مصادر القراءة والاطلاع والمعرفة ، هذه الحاجة لا تكون حاجة جمالية خالصة ، فقد تكون حاجة الى توثيق شيء او القاء الضوء لا علسيء اخر . وقد تكون الحاجة طبيعية فالبحث عن شروق الشمس او غروبها او ملاحظة النجوم في ليلة صيف او التطلع الى الوان كثيرة هي حاجة الى استشعار معالم الطبيعة هربا " من ضجيج العصر وتعقيدات الحياة .

وان هذه الحاجة الجمالية تحمل رغبتنا في تغيير ايقاعنا في الحياة ، بايقاع آخر ، أي سنستبدل ايقاع الحياة بايقاع فني جمالي قد نجده في قطعة موسيقية وقد نجده في العرض المسرحي .

من الطبيعي ان البشر يختلفون عن بعضهم في طلبهم لهذه الحاجات ، لان لكل منهم نزوع ورغبة وذوق واتجاه ينبع من تربيته وتعليمه وخبرته.

وهذا النزوع نحو الفن نسميه (الحوار الجمالي) بين الباحث عن الفن وبين مطلوبة من الفن ، وهناك تبعا " لذلك دوافع جمالية لذلك وهذه الدوافع تتركز على النقاط الاتية :

- ١- حاجة للبحث عن خلاص او ملجأ في أي فن من الفنون .
- ٢- حاجة الى معايشة الفن الذي نختاره او نميل اليه ، والهدف من هذه المعايشة هو الارتقاء بحياتنا الشخصية الى درجات السمو والجمال .
- ٣- حاجة الى الوصول الى نقطة الشعور بالتطهير النفسي والنقاء الذاتي ، وهي حالة الشعور بالجوع والعطش الفني والسعي الى النهل منها والارتواء والشبع ، وهي اشد الحالات النفسية قوة واصراراً .
- ٤- الحاجة الى اقامة علاقة مع الاخرين .
- ٥- الحاجة الى الترقية الفكرية والثقافية ، وذلك بالبحث عن المشاعر والاحاسيس الدقيقة من حولنا والتي تفتح امام حواسنا كنوزاً " عاطفية سامية .
- ٦- اقامة علاقة بين مكونات الفن وبين سرانرنا الداخلية والوجدانية . (١) . علم الجمال المسرحي . كمال عيد ص

*** الجميل والنافع ***

إن أصحاب نظرية الفن للفن يضعون الجمال في موضع الضد مع المفيد ، ويؤكد (توفيل جوتيه) بهذا الصدد : (انه ما من شيء جميل حقا " الا وكان عديم الفائدة وكل مانطوى على فائدة كان قبيحا ") ، ويقول (وايلد) أيضا : (ان كل فن لا بد أن يكون عديم الفائدة) في حين ان (راسكين) يربط بين المنفعة والجمال ، وثمة فلاسفة يؤيدوه في ذلك أمثال (سقراط وأفلاطون الذي يقول: ان المعلقة تكون جميلة إذا كانت لها فائدة) . ان الجميل والنافع يسيران معا" في كل من فنون المعمار والأثاث اكثر من الفنون الأخرى فبين معبد وقصر ومقعد خشبي وجرة طبيعية مزدوجة ، لأنها أشياء فنية وأشياء ذات فائدة . وفي المقابل كم هناك من مباني ملائمة تماما "لما يطلب منها من وظائف ، ومع ذلك فهي قبح مريع . وعلى عكس ذلك يحدث ان يكون الإفراط في الرفاهية في الجراة في تشكيل اشكال المباني عاملا" على اخفاء الجمال عليها . وهنا تصبح اللانفعالية عنصرا" جوهريا" من عناصر الجمال . ان العلاقة بين الجمال والنفع في فنون التصوير والنحت والآداب والموسيقى تظهر كما لو كانت اقل وضوحا" منها في فن البناء.

صحيح ان العمل الفني العظيم لا يدين بجماله لنفعيته فهو يمكن ان يكون على نفس الدرجة من الفعالية ان نقص جماله درجة ، فلنقل اذا" ، ان العمل الفني الجميل ، عملا" موهوبا" قام به صاحبه من اجل الجمال فحسب ، فالقصيدة الشعرية واللوحة والتمثال والسمفونية عديمة الفائدة عمليا" ، اللهم الا بالنسبة لأولئك الذين يجدون من ورائها كسبا" ، كالتابع والنفذ والناشر والتاجر. باختصار ينبغي ان تقاس الفنون بمقدار تأثيرها الجمالي والنفسي ، لانها ليست بضاعة تحت الطلب كما الحال في الأنظمة الرأسمالية التي تعمل بمبدأ البراجماتية (النفعية) فتختفي عندئذ المفاهيم الانسانية والاجتماعية والجمالية التي تسر النفس الانسانية وهذا يعني ان الفن او الجميل يتقاطع تماما مع مبدأ النفعية .